اللاذقية

بين حلم الشباب وهرقة الأمس: جبلة تلملم جراحها



الكاتب
لوبين عمران
مراسلة شبكة سيريا مورس الإخبارية في اللاذقية

تاريخ النشر
22 فبراير 2026



تخيم على مدينة جبلة الساحلية، تلك الواحة بوقار تاريخي على كتف المتوسط، سحابة ثقيلة من الحزن الوجداني والألم العام، إثر الحادثة الأليمة التي فجعت قلوب السوريين ليل أمس. إن رحيل أربعة من شباب المدينة في واقعة هزت الضمير الجمعي لم يكن مجرد خسارة بشرية عابرة، بل تحول إلى جرح غائر في جسد المجتمع الذي يرى في شبابه الركيزة الأساسية لمستقبله الواعد، وفي أرضه مستوحيا لحضارة ضاربة في عمق التاريخ الإنساني. هذه الفاجعة تستوجب اليوم وقفة تأمل عميقة تتراوح بين أقصى درجات التعاطف الإنساني مع العائلات المكلومة، وبين القراءة الواقعية والمنطقية للواقع الأثري والجيولوجي لهذه المدينة العريقة، بعيدا عن أي سياق قد يقلل من قيمة هؤلاء الراحلين الذين قادهم الشغف أو البحث عن غد أفضل إلى مصير لم يكن في الحسبان، فافتقد واحد والصحب يعم كل بيت في هذه المدينة الصابرة.

ندات الغيرة والوعي المجتمعي

وبناء عف هذا الصب الجل، ضبت الأوساط المحلية في جبلة عقب الحادثة مبشرة بندات صاعقة تتض بالوعي والغيرة، حيث اطلقت صوت حثيثة من الأهالي والفعاليات المجتمعية تث الجميع عف توفي الحذر الشديد والابتعاد الكي عن مغامرت التنقي الفردية التي تفتقر لأحف مقومت الأمان. هذه التحركت لم تكن تهف بأي حال من الأحوال إلى توجيه اللوم، بل انطلقت من دافع المحبة الصرفة والحرص عف الأرواح الغالية التي لا تقدر بثمن، إذ إن أي هسارة بشرية تلم بالمدينة هي ثغرة في جدار مستقبلها لا يمكن تعويضها بكنوز الدنيا قاطبة. ويؤكد أبناء جبلة في رسائلهم الموجهة للعموم أن بطن هذه الأرض لا يختزن سبائك ذهبية كما توهم بعض الأساطير الشعبية المتوارثة، بل يضم ماهو أسمف وأبقى، حيث يضم الهوية الروحية والتاريخية للمنطقة، مما يجعل من المدينة بأكملها متحفا حيا يقبع تت الأقدام، والعبث بنسيجه يمثل خطورة جسدية محققة قبل أن يكون ضياعاً لقيمة علمية وتاريخية لا تعوض.

التركم الطبقي وهشاشة البنية التحتية

وعند الانتقال من البعد المجتمعي إلى الزاوية الأثرية التخصصية، نجد أن مدينة جبلة العاصرة تبرز كبنيان فريد تربع فوق طبقات حضارية متراكمة عبر آلاف السنين، مما جعل من جوفها بنية هندسية وجيولوجية شديدة التعقيد والهشاشة البالغة. فالنمو العمراني عبر العصور المتعاقبة لم يقم عف رم المواقع القيسبقت، بل استند إليها وبنى فوقها مباشرة، الأمر الذي خلف وراءه فراغات مهولة وقنوات مائية وأقبية قديمة أصابها الوهن والهشاشة مع مرور الزمن وتعاقب العوامل الطبيعية. إن هذه الهياكل التحتية الفارغة في القلب لا تحتمل أي تدخلات بشرية عشوائية أو عمليات حفر تفتقر للدراسة الهندسية العميقة، إذ إن نقل الكلسيجين الجاف وانبعاث الغازات السامة الناتجة عن التربة القديمة المغمورة، مضافا إليها احتمالية الانهيارات المفاجئة نتيجة تصدع الجدران الأثرية، يحيل أي محاولة للنزول إلى تلك الأعماق إلى مغامرة محفوفة بالموت المحقق. إن الطبيعة الإنشائية للمدينة القديمة جعلت من بطنها شبكة معقدة من المسارب والأنفاق التي تفتقر لأبسط مقومات التهوية والأمان، مما يحول أي محاولة دخول إليها إلى تهديد مباشر للحياة البشرية في تلك الظلمات.

حقيقة الخبائن في المنظور العلمي

وفي سياق متصل يصحح المفاهيم الخاطئة، يمض الخبير الأثري الدكتور عزام العلي بتوضيحات هامة حول طبيعة الاكتشافات في الساحل السوري عمومًا، مشيرًا إلى أن كنوز جبلة الحقيقية تتركز في الرقم الفخارية، والنقوش الحجرية، والأدوات الزجاجية التي تروي تفاصيل الحياة اليومية والازدهار التجاري في العصور الفينيقية والرومانية. ويشير الدكتور العلي إلى أن الاعتقاد الشائع بوجود كنوز ذهبية مدفونة يفتقر إلى أي أساس علمي أو منطق تاريخي، موضحًا أن الحضارات التي تعاقبت عف المنطقة اعتمدت في ازدهارها عف التجارة البحرية والزراعة، ولم يكن من شبهها إخفاء الثروات من المعادن النفيسة في بطن الأرض كما تصوّره المخيلة الشعبية المتأثرة بحكايات الخيال. مضيفًا أن من هذا المنطلق، تكتسب حفريات الأهالي لوقف أعمال التنقيب العشوائي أهمية خاصة، إذ تنبع من إيمان عميق بأن الأرض تحتضن إرثًا تاريخيًا يعزز الهوية والانتماء القومي، لا ثراءً سريعًا موهومًا. كما أن صون هذا الإرث لا يتحقق إلا بالحفاظ عف سلامة الإنسان، باعتباره جوهر الحضارة ومنطلقها الأول.

الإنسان هو الذهب الحقيقي لجبلة

انطلاقًا من هذه الحقائق، أشار الدكتور العلي إلى أن حالة الكشف المجتمعي الحاصلة التي تشهدها المجتمع الجبلاوي في هذه اللحظات الحاسمة تعكس نبل هذا الحس البشري وتمسكه الأصيل في وجه الخطر، حيث تحولت المجالس العامة وحلقات التواصل المجتمعي إلى منارات حقيقية للتوعية وحماية ما تبقى من طبقات شاهدة يافعة، بالإضافة إلى أن الرسالة الجوهرية التي تتردد أصداؤها اليوم تتجاوز في أن الشباب هم الذهب الحقيقي والكنز السيادي الذي لا يمكن التفريط به تحت أي ذريعة أو وهم مادي عابر. وأشاد الخبير العلي إلى أن الاعتزاز بما تحتويه الأرض من إرث حضاري عظيم يجب أن يتحول إلى جهد جماعي منظم لحماية هذا التراث وتوظيفه ضمن الأطر القانونية والسياحية الرسمية التي تعود بالنفع عف المجتمع ككل، بعيدًا عن المسالك الوعرة والمظلمة التي قد تودي

بمزيد من القضايا وتقبع مزيدا من الأسر. مبينا أن الوعي المجتمعي المتسلح بالعلم هو الدرع الحصين الوحيد الذي يحمي الأجيال من التأثير خفسرب الشرك المحفون تحت الأنقاض المتهالكة.

جبلة وفاء للحاضر والماضي

إن مدينة جبلة تلك الحاضرة التي تآكلت معهدير البحر وعبق التاريخ السوري القديم، تستحق منا اليوم أن نحمي أحلام أبنائها من الانزلاق خفسرب الوعود المحفونة. فالحفاظ عف أرواح الشباب هو أسمى درجات الوفاء للأرض وتاريخها، والتمسك بالوعيهو القنديل الذيسيضيء عتمة المسرادب المنسية. ولتبقفهذه الحادثة الأليمة درسا قاسيا يعيد الاعتبار لقيمة الإنسان أولا.

الرابط البديل للمقال

قرأ المقال عف الموقع

Read Article on Website

syriamorse.com/?p=5642

SCAN TO READ